د. محمد قدور

جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله

نشاط الحركة الوطنية الجزائرية 1954/1930 دراسة مقارنة بين أرشيف الخارجية السويسري و أرشيف صحيفتي la Gazette de Lausanne و le Journal de Genève السويسريتين

الملخص: تُعتبر المرحلة التي جاءت بين نهاية المقاومات الشعبية و الثورة التحريرية من أهم المراحل التي مرّت بها الجزائر خلال فترة الاحتلال ،حيث ظهرت الصحافة الوطنية و تشكلت الأحزاب و الجمعيات و برزت الدعوة إلى الاستقلال فظهر لأول مرة دعوة صريحة لتشكيل جيش وطني جزائري ضمن برنامج نجم شمال إفريقيا، و تحولت الجزائر إلى ساحة تنافس فكري بين أبنائها من خلال طرحهم لأفكارهم على اختلاف توجهاتهم في إطار مُنظم ،فأصبح كل جزائري إلا و له حزبه أو جمعيته التي يتبنى مبادئها و يدافع من أجل تطبيق برنامجها.

الكلمات المفتاحية: سويسرا، مصالي الحاج، فرحات عباس ،الاحتلال الفرنسي ، الاستقلال

مقدمة: ظهر بعد الحرب العالمية الأولى في الجزائر تيارات مختلفة تختلف جذريا عن ما كان عليه في السابق مثل التّيار الاستقلالي و التّيار الاندماجي و الحزب الشيوعي و التّيار الإصلاحي إلى غير ذلك ، بهذه الأفكار انخرط الجزائريون في النضال السلمي و فتحوا نافذة على العالم محاولين استغلال الظروف و التطورات الدولية الجديدة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ،من خلال طرح انشغالهم في مختلف اللقاءات و الاجتماعات التي كانت تنظمها نقابات عمالية أو هيئات دولية ، أو أحزاب أجنبية، من هنا انتقل نشاط الجزائريين إلى العالمية أو التدويل بعد أن كان محليا يتلاعب بمطالبه السياسيين الفرنسيين ، وبالتالي أخذت هذه المطالب حيّزا كبيرا من اهتمام الأجانب ، و تُعتبر سويسرا واحدة من الدول التي انشغلت بالأوضاع في الجزائر خلال هذه الفترة لعدة أسباب ،منها نشاط الحركة الوطنية المتصاعد ، و تحرك الجزائريين في أوروبا نفسها من أجل التعريف بقضيتهم ، هذا إضافة إلى أن الجزائر تحصي وجود عدد مُعتبر من السويسريين على أرضها ،و بالتالي فإن هذا النّشاط سيكون له انعكاسا كبيرا على مواطنيها ، و كانت بذلك الصحف السويسرية المصدر الأهم لنقل الأخبار عن الجزائر ،و في نفس الوقت كانت هناك مراسلات بين السياسيين موضوعها الجزائر خلال العهد الاستعماري كشفها الأرشيف الدبلوماسي السويسري فيما بعد ، من هذا الباب حاولنا ان نستنطق ما وقع بين أيدينا من وصائق أرشيفية سواء الأرشيف الدبلوماسي أو أرشيف الصحافة السويسرية وما يمكنه ان يعطينا صورة مغايرة بموضوعية اكثر، و قد اخترنا صحيفتي a Gazette de Lausanne و le Journal

de Genève نظرا للشعبية الكبيرة التي تتمتعان بها وسط الأوربيين عموما و السويسريين خصوصا ، فهل كانت احداث الجزائر و نشاط الجزائريين محل اهتمام السلطات السويسرية مثلما كان اهتمامهم بالمعمرين السويسريين ؟و كيف كانت صورة نشاط الحركة الوطنية الجزائرية في الصحف السويسرية بين 1954/1900 ؟ وهل اعتمد نشطاء الحركة الوطنية على هذه الصحف في تدويل القضية الجزائرية و نقل معانة الفرد الجزائري و فضح الاحتلال الفرنسي ؟

1- نشاط الحركة الوطنية منن خلال الأرشيف السويسري:

يعتبر الأرشيف المادة الأهم التي يعتمد عليها أي مؤرخ وهو ما حاولنا ان نقوم به من اجل إعطاء صورة دقيقة لنشاط الحركة الوطنية و مقارنتها بالجرائد حيث وقعت بين يدي بعض الوثائق الأرشيفية التي تعود للأرشيف الدبلوماسي السويسري الذي تناول تاريخ الجزائر بين 1962/1851 ،

فرغم أن الحركة الوطنية قطعت أشواطا كبيرة في التعريف بالقضية الجزائرية و انتقال النضال من مجرد شكاوى و عرائض - في أول الأمر -كما فعلت عائلتي بن باديس و بن رحال في كل من تلمسان و ندرومة بتقديمها لعريضة ترفض التجنيد الاجباري سنة 1912 ، وكذلك المطالبة بالإصلاحات و رفض قانون التجنيد الأهالي [1] من خلال المقالات الصحفية في الصحف التي أنشأها بعض الجزائريين مثل عمر بن قدور و عمر راسم، الشيخ كحول [2] في بداية القرن العشرين إلى استغلال المنابر الدولية مثلما فعل الأمير خالد خلال رفعه لعرضيته للرئيس الأمريكي ولسن أثناء أشغال مؤتمر الصلح في فرساي سنة 1919، وصولا إلى تجسيده في شكل برامج أحزاب يعترف بها القانون الفرنسي ،إلا أن الوثائق الأرشيفية التي بين أيدينا لا تتطرق البتة لنشاط الحركة الوطنية ، فلم نجد الإشارة إليها إلّا في إطار الحديث عن الحركات الاستقلالية في العالم عموما و ما حواها الصّراع الدولي الذي اشتعل بعد الحرب العالمية الثانية في ما سُمي بالحرب الباردة ، و نلمس ذلك جليا في التقارير التي كانت تُوثّق لقاءات الهيئات الدولية كاجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لكن الباحث في التاريخ لا يمكنه أن يُهمل أي وثيقة أرشيفية خاصة إذا كانت جديدة و من مصدر مغاير أو محايد ، و بالتالي يمكن أن نستعين بهذه التقارير في كتابة و تتبع نشاط الحركة الوطنية من منظور مختلف و مصادر جديدة .

فبخصوص الإطار الزماني الذي يُغطي نشاط الحركة الوطنية و الذي حددناه -حسب توفر الوثيقة - بين سنتي 1930-1954 ،وجدنا حوالي 25 وثيقة أرشيفية ، و باستثناء الوثيقتين اللذين سبق ذكرهما و الخاصتين بأحداث 08 ماي 1945 ،فإن مواضيع باقي الوثائق تنوعت بين التطرق للمستوطنين السويسريين في الجزائر، نزول الحلفاء في شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية ،الأوضاع الاقتصادية و العلاقة بين سويسرا و فرنسا، نشاط الهيئات الدولية بخصوص قضايا المستعمرات و الحرب الباردة هذه الأخيرة كانت فيها إشارات إلى القضية الجزائرية لكن ليس بطريقة مباشرة ، فمثلا في اجتماع لجنة

الشؤون الخارجية في الأمم المتحدة بتاريخ 20/19 فيفري 1947 جاءت الوثيقة[3] عبارة عن تقرير حول اجتماع هذه اللجنة و الذي قدمه ممثل سويسرا إلى سلطات بلاده ،حيث جاءت الفكرة العامة التي بُني عليها التقرير حول الصراع بين المعسكرين في إطار ما سمي بالحرب الباردة ،و الطريقة التي تنتهجها البلدان الرأسمالية في مواجهة المد الشيوعي الذي يتزعمه الاتحاد السوفياتي الذي يحاول استغلال تصاعد مطالب الشعوب المستعمرة ضد الامبريالية حيث نقطة التقاء الحركة الشيوعية الداعمة ولو ظاهريا فكرة الاستقلال[4] و مطالب الحركات التّحررية الوطنية في مختلف العالم ،حيث كانت البلدان المُستعمَرة ساحة صراع و ميدانا خصبا لتجريب كل أنواع الدبلوماسية و المواقف لكل معسكر، و من هنا جاءت الإشارة إلى القضية الجزائرية حيث يذكر التقرير أن الاتحاد السوفياتي سوف لن يبقى سلبي تجاه مطالب شعوب هذه البلدان ،لذلك فإنه سيلجأ لدعم هذه المطالب .هذه الفكرة نجدها تُطرح من جديد في إحدى وثائق الأرشيف الدبلوماسي السويسري و المؤرخة في أواخر جويلية 1947 ، لكن بطريقة تميل للمؤامرة أكثر منها إلى كون الحركة الوطنية حركة أصيلة جزائرية خالصة ،حيث نقرأ فيما بين سطور التقرير أن الصراع بين المعسكرين جعل فرنسا تذهب للمزيد من الإصلاحات في سياستها داخل الجزائر ، فحسب تاريخ الوثيقة يتزامن هذا الطرح و سياسة الإصلاحات التي قامت بها فرنسا بعد مجازر الثامن ماي 1945 و ذلك بعد تزايد الضغوط الداخلية و تقارب نظرة أحزاب و شخصيات الحركة الوطنية ، كما تم في هذه المرحلة تأسيس مكتب تحرير المغرب العربي في القاهرة كلها عوامل أرغمت فرنسا على سن حزمة من الإصلاحات لكنها لم ترق إلى طموحات الشعب الجزائري خاصة التيار الاستقلالي منه ، فنجدها - بناء على دستور الجمهورية الفرنسية الصادر في أكتوبر 1946 - تقرّ دستورا خاصا بالجزائر اعتبرته فرنسا قمّة إصلاحاتها في الجزائر ، يحدد القوانين التي تسير الجزائر ، كما يهدف من خلالها إلى منح المزيد من الحريات و منح الجنسية الفرنسية للجزائريين بما لا يمنعهم من التخلي عن أحوالهم الإسلامية- وهذا بحد ذاته تغير أو انقلاب على مبادئ فرنسا الاستعمارية التي بقيت طيلة هذه المدة تعتبر أن الجنسية و الإسلام لا يلتقيان، و أنهما يتعارضان و مبادئ فرنسا العلمانية – هذا بالإضافة إلى تشكيل مجلس نيابي يُمكّن الجزائريين من تسيير شؤونهم الخاصة .

فالسياسة السويسرية هنا و حسب تقارير رجالها من قناصلة و سفراء لم تقف موقف المتفحص ، المحلل للأحداث بل كانت للذاتية أقرب في دعم غير صريح للاحتلال الفرنسي ، فأهملت نشاط و نضال و مطالب الجزائريين ممثلة في أحزابها و جمعياتها و شخصياتها ،طيلة أكثر من ثلاثة عقود من الكفاح السياسي ،كما تجاهلت سقوط الآلاف من الضحايا في مجازر الثامن من ماي من أجل الحرية ، متعاطية بسلبية مع المد التّحرري في العالم الذي كانت الجزائر إحدى قاطراته ، لذلك نجدها تقتصر في التقارير حسب الوثائق الأرشيفية على أن القضية الجزائرية لم تكن إلاّ آداة يحاول المعسكر الشرقي استغلالها لتحقيق مصالحه فيما سُميّ بالحرب الباردة .

لكن نضال الجزائريين الدؤوب و على مختلف الأصعدة - و في محاولة استغلاله للصراع الدولي - بدأ مع بداية الخمسينيات يأتي أُكله ، و يمكن أن نستنتج ذلك من خلال بداية تغير وجهة نظر أو موقف سويسرا بخصوص طبيعة الاستعمار الفرنسي هذا التحول نقرأه من خلال وثيقة ثانية جاء ذكر القضية الجزائرية فيها بنوع من الإيجابية وذلك في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال دورتها السادسة في باريس (نوفمبر 1951/فيفري 1952) ، أين تُشير الوثيقة الأرشيفية - التي هي في الأصل تقريرا كتبه ممثل سويسرا في الأمم المتحدة و المؤرخة في 18 فيفري 1952[5] ،مُوجه لسلطات بلاده - إلى أن قضية الجزائر و المغرب لم تعودا قضية فرنسية كما تروج له فرنسا من خلال صحافتها و سياسييها في كل مناسبة تُثار فيها قضية تصفية الاستعمار ، فالدول العربية المستقلة مثل السعودية، سوريا ، لبنان ،مصر إلى جانب ممثل جامعة الدول العربية أصبحت تُدافع بقوة عن الدول العربية القابعة تحت نير الاستعمار خاصة الاستعمار الفرنسي ، حيث يذكر السفير السويسري في الأمم المتحدة أن الدول العربية أجمعت على محاربة و إدانة كل أشكال الاحتلال و تصفيته خاصة في بلدان المغرب العربي ، الذي بدأت تظهر فيها نُخب مُثقّفة من مختلف الفئات كأطباء، صيادلة، مهندسين ، محامين ..... يمكن لها أن تقود الحكم .

الملاحظ إذن أن النشاط الحقيقي للحركة الوطنية ممثلة في نشاط الأحزاب و تحركات الشخصيات السياسية داخليا و خارجيا لم يُحظ باهتمام السلطات السويسرية ربما لأنها تعتبره من باب التدخل في شؤون الفرنسية ، أو يتنافى مع مبدأ سياسة الحياد الذي انتهجته سويسرا من مختلف القضايا الدولية [6]. إن الموقف الرسمي هذا جعلنا نسعى للوقوف على تعاطي السويسريين مع تنامي الفكر التحرري في الجزائري الذي بلغ ذروته بعد الحرب العالمية الثانية خاصة و أن سويسرا كما سبق الذكر لها علاقة مباشرة بالجزائر من خلال عدد معتبر من الأسر السويسرية التي أصبحت من كبار ملاّك الأراضي و الاقتصاد في الجزائر ، لذلك غيرنا أداة البحث من الأرشيف إلى الصحافة السويسرية التي كانت هي بدورها رافد من روافد المعلومة التي تستقيها سلطات بلادها حول الأوضاع في الجزائر من خلال المراسلين المتواجدين في الجزائر أو في فرنسا ، حيث كانت تملك أهم الصحف المؤثرة في الساحة الإعلامية الدولية و نخص بالذكر صحيفة Journal de la Genève وكذلك جريدة la gazette de Lausanne [7]، هاتين الصحيفتين بالذات كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تتابع ما كانت تنشرانه حول الثورة التحريرية باهتمام كبير فيما بعد .

2- نشاط الحركة الوطنية من خلال الصحافة السويسرية :

رغم أن سويسرا لم يظهر في أرشيفها الدبلوماسي الذي بين أيدينا اهتماما صريحا و مباشرا بقضايا الجزائريين - رغم وجود قنصليتين في الجزائر وعدد مُعتبر من السويسريين- مُقارنة باهتمامها بنشاط

الأوروبيين و حتى اليهود ، إضافة إلى مختلف المواضيع الاقتصادية و السياسية الخاصة بالعلاقات الدولية و التي كانت الجزائر مسرحا لها مثل نزول الحلفاء أو التبادل الاقتصادي و التجاري .إلخ التي حواها هذا الأرشيف، إلا أن الصحافة السويسرية الفاعلة و المهمة كان لها رأي آخر في هذا المجال ، حيث نجد أن صحيفة de Lausanne la Gazette ، إضافة إلى جريدة Journal de la Genève كانتا تنقلان بعضا من أخبار و نشاط زعماء الحركة الوطنية كمصالي الحاج و فرحات عباس و البشير الإبراهيمي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك من خلال مراسليها الذين كانوا يتواجدون إما في الجزائر أو في فرنسا .

3-1- تغطية انتخابات 1948

و من خلال بحثنا في أرشيف هاتين الصحيفتين وجدنا العديد من المقالات الصحفية تتطرق إلى الحياة السياسية للجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية ، لكن هذه المقالات عبارة عن نقل للأخبار فقط دون تحليل أو رسم صورة واضحة للحقيقة التي كان يعيشها الجزائريون تحت نير الاستعمار بعيدا عن التحليل و التعمق في فهم حقيقة هذه الأحداث و خلفياتها، مما يُعطي انطباعا للقارئ أن الجزائريين لا يعيشون استعمارا استيطانيا و أنه يعيش نفس حقوق المواطنة التي يعيشها الفرنسي أو الأوروبي في الجزائر . فمثلا نجد أن الجريدتين تقومان سنة 1948 وعلى مدار أشهر بتغطية شاملة و دقيقة للانتخابات التي شارك فيها الجزائريون و تنقلان صورة على الظروف التي جرت فيها الانتخابات و الصراع بين الأحزاب الجزائرية ، في شهادة لفرنسا بديمقراطيتها مع الجزائريين ،لكنها في نفس الوقت تتجاهل تنديد الجزائريين بالتزوير الفاضح الذي قام به الحاكم العام نايجلان. فنجد في العدد رقم 81 و 82 من جريدة de la Gazette Lausanne الصادرين بتاريخ 06 و 07 أفريل 1948[8] يُقدّمان أرقاما حول الانتخابات حيث تنشر الجريدة النتائج و التي جاءت بفوز الاحرار ب 27 مقعد ، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية ب08 مقاعد و تليها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ب06 مقاعد ، أما الحزب الشيوعي الجزائري فلم يتحصل على أي مقعد ، و في تحليله للنتائج تُركز الصحيفة على أن الاختلاف بين زعماء الحركة الوطنية خاصة مصالي الحاج و فرحات عباس ،حيث أثّر هذا الخلاف على نتائج هاتين الحركتين ، فيما يبقى الحزب الشيوعي بعيدا عن تمثيله للجزائريين ،، وحتى لا نقف طويلا عند هذه النقطة يمكن القول أن هذه الانتخابات كانت تُمثل متنفسا للفرنسيين خاصة المعمرين -باختلاف جنسيات معمريها – للخروج من الضغط الرهيب الذي وضعهم فيه نشاط زعماء الحركة الوطنية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية و انعكاس احداث 8 ماي 1945 و انتقال الجزائريين للعمل الجدي من أجل الاستقلال خاصة حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي أسست المنظمة الخاصة سنة 1947 و أوكلت لها التحضير للعمل المسلح [9] ، فمشاركة الجزائريين بمختلف أطيافهم السياسية في هذه الانتخابات هو موافقة على اللعبة الديمقراطية التي رسمتها السلطات الاستعمارية و جاء بها دستور الجزائر 1947 ، و بالتالي فالموافقة

على اللعبة السياسية هو تخلي عن المطالبة بالاستقلال عن طريق الثورة في نظر الفرنسيين .وفي نفس الفكرة التي تصور الجزائريين متعايشين مع الاستعمار تنقل لنا نفس الصحيفة موقفا لفرحات عباس يُركز فيه على مقولته: "***لا نريد لفرنسا أن تذهب لكننا نريد فرنسا دون استعمار***" ،وهو نفس الموقف الذي كان ينادي به النواب الجزائريين في المجلس الفرنسي الذين ذكرت الصحيفة أنهم مُتذمرون من الطريقة التي يُصنف بها القانون الفرنسي المواطنين الجزائريين بأنهم مواطنين من الدرجة الثانية حيث يُعبّر هذا التصنيف عن تمييز عنصري بينهم و بين المعمرين الآخرين. [10]

2-3: حوار مع فرحات عباس:

فهذه المواقف و هذا الكلام يُعبّر بالنسبة للصحيفة السويسرية عن توجه فئة مُعينة في الجزائر يُمثلها هذا التيار السياسي يمكن لها أن تلعب دورا بارزا في الحياة السياسية ، لخصّت مطالب هذا التيار جريدة le Journal de Genève في العدد رقم 147الصادر بتاريخ 26 جويلية 1949 من خلال مقال مطول عنونته ب"المشكل الجزائري "[11] هو في الأصل حوار صُحفي أجراه مراسل الجريدة في باريس مع فرحات عباس ، عندما استغل زيارة هذا الأخير و بعض نواب حزبه لمقر البرلمان الفرنسي من أجل طرح انشغالاتهم ، فكانت الأسئلة كلها منصبّة حول برنامج و مطالب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و نظرته للعلاقة بين الجزائريين و الفرنسيين ، في بداية المقال ركّز المراسل على نوعية و تركيبة الشخصيات التي شكّلت الوفد الذي ضم حسب الصحيفة شخصيات من المستوى الثقافي العالي مثل صيدلي و طبيب و مهندس و أستاذ و غيرهم ، فهذه الصفات كفيلة بأن تُعطي الوفد مصداقية لدى المجتمع الغربي من أجل إسماع صوته ، و بعد تقديم مستفيض عن هذا خلفية هذه الزيارة يُعرّج الصحفي بسؤال لفرحات عباس حول جامعة الدول العربية التي بدأت تقوم ببعض الأنشطة من خلال ممثليها في الساحة الدولية تركّزت حول دعم هذه الهيئة – كما لا حظنا ذلك من خلال الوثائق الأرشيفية السابقة- لتوجه الدول العربية نحو الاستقلال ، هذا النشاط يقول فرحات عباس بأنه لا يسمع به في الجزائر إلا من خلال وسائل الاعلام ، و في هذا إشارة إلى أن جامعة الدول العربية لاتزال غير قادرة على تحقيق أهداف الشعوب العربية كونها حديثة النشأة كما أن عدد أعضائها يبقى غير كاف للضغط على المجتمع الدولي ،لكن رغم هذا فهو يدعم عملها هذا .

و في موضوع آخر أكثر أهمية و هو الوضع في الجزائر فإن فرحات عباس يجيب على الصحفي بأنه يسير من سيء إلى أسوء حيث أن الجهل متفشي في أوساط الشعب الجزائري مقارنة بالفرد الأوروبي ، و يثني فرحات عباس في هذا المقام على دور جمعية العلماء المسلمين بفضل جهود الشيخ ابن باديس ثم البشير الابراهيمي ، حيث أنه رغم قيام إدارة الاستعمار دائما بخلق العراقيل أمام الجمعية من أجل ثنيها عن دورها في مجال التعليم إلا أنها كان لها الفضل الكبير في حفاظ الجزائريين على لغتهم ، و محاربة الأمية حيث يقوم الابراهيمي بعمل جبار في هذا المجال.

أما بخصوص السياسة الاستعمارية التي تنتهجها فرنسا يقول فرحات عباس أن فرنسا تسعى لاحتواء الجزائريين في المجتمع الأوروبي و ربطهم بأن يصبحوا فرنسيين ، لكنها فشلت في ذلك ، لأن فرنسا تسعى دائما لإنجاح سياستها على حساب طموح و تاريخ و تطلعات الشعب الجزائري .

و بخصوص المطالب التي يريد فرحات عباس و جماعته تبليغها و التي يناضلون من أجلها في سبيل تحقيق الجزائريين هذه الطموحات و التطلعات فيلخصها الصحفي من خلال تصريح عباس في المطالبة بإنهاء الاستعمار الامبريالي و تحقيق استقلال داخلي في إطار فيدرالي مع فرنسا ،وفق عقد اجتماعي يربط الطرفين تُراعى فيه الحقوق و الواجبات ، حيث يرى فرحات عباس أن النظام الاستعماري الحالي يرفض كل ما من شانه أن يساعد الجزائريين على تسيير أمورهم بأنفسهم ،و بالتالي ففرحات عباس لا يريد تمييزا بل يريد تكاملا مع فرنسا. و لن يكون هذا قابلا للتطبيق إلا من خلال إقامة دولة جزائرية مستقلة بمؤسساتها (برلمان -حكومة) ، تكون الحكومة مشكلة من مسلمين و أوروبيين تُنفذ قرارات و برنامج البرلمان في إطار فيدرالي و من ثمة يكون من حق الفرد الجزائري مواطنة كاملة الحقوق.

ومن شروط هذا الاستقلال تضيف الصحيفة نقلا عن فرحات عباس هو وضع برنامج إصلاحات خاصة في الجانب المالي يُخصّص فيه حيزا هاما لتطوير التعليم. و في آخر الحوار يطالب فرحات عباس على ضرورة إجراء انتخابات تقوم فرنسا بتهيئة ظروف و عوامل نجاحها تكون في مستوى طموح و تطلعات 8 ملاين مسلم.

3-3: نشاط حزب الشعب و مصالي الحاج من خلال الصحف السويسرية:

و بالعودة إلى بعض الاعداد التي كانت تصدر خلال ذروة نشاط الحركة الوطنية نجد أن الصحافة السويسرية كانت ترصد بعض الأنشطة للزعماء و الأحزاب الجزائرية ،فمثلا نجد في نفس الجريدة مقالا بتاريخ 03 نوفمبر 1937 يتحدث فيه صاحبه عن إقدام مصالي الحاج على تأسيس حزب الشعب الجزائري PPA كبديل لنجم شمال إفريقيا الذي تم حله سنة 1936 ، لكن هذا المقال عبارة عن مجرد خبر في ركن صغير من الجريدة يفتقر التحليل خاصة عن أسباب تأسيس هذا الحزب و برنامجه.[12]

مقالا آخرا نجده في هذه الجريدة بتاريخ 19 سبتمبر 1946 وهو مقال طويل نوعا ما خصصه ، المراسل لنشاط الحركة الوطنية في بلدان المغرب العربي و طريقة تصورهم للاستقلال و كيفية مواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية ، فيما نجده يُخصص تغطية لنشاط بعض السياسيين الجزائريين [13].

ولم تُخف الصحافة السويسرية اهتمامها بالتعريف بالشخصيات الجزائرية و تبيان أفكارهم ،حيث نجد أن العدد رقم 58 الصادر بتاريخ 08 مارس 1948 تعريف بشخصية مصالي الحاج و التركيز على ***مصطلح الحاج*** ، حيث يقول الصحفي أن هذا المصطلح يُعبّر عن قُدسية و قيمة دينية للشخص ،فلا

يحمله إلا من قام بزيارة لمكة و قام بأداء مناسك الحج ، فرغم أن مصالي لم يحج إلا انه كان له شرف حمل هذا الاسم و هذا تقديرا لشخصه ، (مصالي الحاج زار مكة المكرمة سنة 1951) و في ختام المقال يعود المراسل و يذكر القارئ أن مصالي الحاج هو من الشخصيات غير المرغب فيها بالسنبة لحكومة الفرنسية نظرا لمواقفه المتطرفة التي يحملها تجاه الاستعمار.[14]

و نظرا للنشاط المتزايد لمصالي الحاج في فرنسا و الجزائر و الدعوة إلى الاستقلال التي كان تُنادي به حركة انتصار الحريات الديمقراطية و مصالي الحاج بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مستغلا الظروف الدولية و الداخلية ،و بعد اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950 و محاكمة أعضائها الذين اعترفوا بانتمائهم للMTLD [15]قامت فرنسا بفرض الإقامة الجبرية على السيد مصالي الحاج في بوزريعة ،حيث نقل هذا الخبر مراسل صحيفة la Gazette de Lausanne في الجزائر في العدد الصادر بتاريخ 27 أفريل 1952 .[16]

نشاط مصالي الحاج كان يتميز بتغطية خاصة مقارنة بنشاط باقي زعماء الحركة الوطنية وذلك نظرا للشعبية التي يتمتع بها ،لكن لم يتكن هده التغطية بطريقة موضوعية لأنها لم تكن تنقل الصورة الحقيقة للطريقة التي يُعامل بها مصالي و باقي المناضلين السياسيين ،كما أنها لم تكن تُسلط الضوء على المطالب الشرعية التي كان ينادي بها مصالي الحاج و التي بسببها عانى مصالي ما عناه خلال هذه الفترة ، بل كانت الصحيفة تنقل الخبر بطريقة جافة يفهم من خلالها القارء أن الأمر لا يكاد يكون تأديب لخارج عن القانون و ليس لشخص يطالب باستقلال بلده من استعمار عنصري و إرهابي قمعي ،حيث نجد في العدد رقم 115 الصادر بتاريخ 15 ماي 1952 [17]مقالا خاصا بالمسيرة التي و المظاهرات التي اندلعت في مدينة الشلف بعد اعتقال مصالي الحاج أثناء زيارة لها خلال هذا التاريخ ، و يذكر صاحب المقال أن عدد الذين قاموا بالمظاهرات تجاوز ال 700 شخص ، و بدل أن يركز صاحب المقال على طريقة اعتقال مصالي التعسفية ، و بالمطالب المشروعة التي كان ينادي بها ، و أن يضع مقارنة للعدد الهائل من المتظاهرين بسبب الشعبية الكبيرة التي يتمتع بها مصالي في كل الجزائر ، نجد المراسل يركز على سن التظاهرين حيث يقول انهم كانوا بين ال15 و ال20 سنة و العنف الذي رافق المظاهرات حيث أدت حسب الصحفي إلى وفاة اثنين من أنصاره و جرح العشرات ،و في هذا إيحاء أو إشارة إلى أن انصار مصالي هم من القصر و المراهقين ، و بالتالي نزع المصداقية و الشرعية عن مصالي و مطالبه ،لكن التوجه لم يؤثر على الرأي العام الجزائري و لم يكن ليُنقص من شعبية مصالي الحاج ،حيث كانت هذه الصحيفة و صحف أخرى بطريقة غير مباشرة من خلال تغطيتهم للأحداث ونشاط مصالي تؤكد على قوة و شعبية هذه الشخصية التي يستمدها من القاعدة النضالية ، وهذا ما نجده كخبر في نفس الصحيفة بتاريخ 19 ماي 1952 العدد 118[18] التي نقلت خبر على صفحتها بخصوص إقدام الشرطة الفرنسية في باريس على اعتقال عدد من الشباب الجزائري الذين قاموا بمظاهرات كبيرة في شارع الإليزيه رافضين

نفي مصالي الحاج مطالبين في نفس الوقت بإطلاق سراحه ،حيث تُشير الصحيفة إلى وقوع عدد من الإصابات بما فيهم من الشرطة الفرنسية ، فمقال من هذا النوع رغم أنه يكتفي بذكر الحداث دون تحليل إلا انه كفيل بوضع القارء في الصورة و يكون مصدرا هاما للمؤرخ حول قوة مصالي الحاج و تأثيره ، فهو عكس ما أوحى إليه المقال السابق بخصوص نوعية مؤيديه و أنهم من المراهقين ، فالأحداث هذه تدل على أن الرجل كان يُشكل خطرا حقيقيا للفرنسيين في الجزائر و في فرنسا ،في نفس الوقت أن نوعية أنصاره هم من الذين لا يخشون المواجهة، فهذا النوع من المناضلين وحدهم القادرين على القيام بالثورة ، حيث تنقل الجريدة في العدد رقم 236 الصادر بتاريخ 06 أكتوبر 1953 قام عدة مظاهرات في فرنسا مطالبة بإطلاق سراح مصالي ،حيث كان مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بعض المناسبات للقيام بمظاهرات لتلفت الرأي العام مثل المظاهرات التي قامت بتاريخ أول ماي 1953 و هي مناسبة للاحتفال بعيد العمال في العالم، كما كانت هناك مظاهرة أخرى بتاريخ 14 جويلية 1953 الذي يصادف العيد الوطني لفرنسا و تاريخ الثورة الفرنسية 14 جويلية1789. [19]

أما عن ازمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية فيبدوا أن سويسرا لم تكن تعلم بها منذ البداية لذلك لم نج لها أثرا في صحافتها سنة 1953 ، او انها لم تكتسي أهمية حيث أننا وجدنا مقالا وحيدا في الأعداد التي بحثنا فيها و هي حوالي 20 عدد في الفترة بين 1954/1937 و هو العدد رقم 241 الصادر بتاريخ 12أكتوبر 1954 [20] أي بعد حوالي سنة من اندلاع الأزمة التي عصفت بالحركة ، ومن اهم الأفكار التي تناولها المقال هو عدم استطاعة حركة انتصار الحريات الديمقراطية من المشاركة في الانتخابات الخيرة (جانفي 1954) و التي عزاها المراسل إلى الأزمة التي تعيشها الحركة و التي أدت إلى انقسامها إلى جناحين متصارعين كل طرف متشبث بأحقيته في قيادة الحركة ، هذا التشنج أدى حسب كاتب المقال إلى إقدام جناح المصاليين إلى عقد مؤتمر في بلجيكا انتخب فيه ميصالي زعيما مدى الحياة ، في المقابل قام المركزيون بعقد مؤتمر في الجزائر و انتخبوا قيادة جديدة ،كما أقدم كل طرف إلى تأسس جريدة خاصة به ، فأسس جناح مصالي جريدة "الجزائر الحرة" في المقابل أسس المركزيون جريدة "الأمة الجزائرية " ، الجدير بالذكر أن المقال تطرق للأزمة وللفاعلين بالاسم و الصفة كحسين لحول و أحمد مزغنة، عبد الرحمن كيوان ..... و غيرهم ممن كانوا سببا مباشرا في الازمة.

خلاصة:

ما يمكن قوله كنتيجة لهذ العرض ان سويسرا كنات تهتم بالحياة في الجزائر المستعمرة لكن اهتمامها ليس بسبب الظروف و القهر الذي كان يعيشه الجزائريون تحت حكم استعمار استيطاني مارس ضد شعب

أعزل كل أنواع التنكيل و العبودية و اكن للسويسريين نصيب في هذا من خلل مشاركتهم كمجندين في جيش اللفيف الأجنبي او كمعمرين استباحوا أرض الجزائريين و ممتلكاتهم ،قلت ان هذا الاهتمام هو في سبيل الاطمئنان على الجالية السويسرية لا اكثر و متابعة نمط معيشتهم في بيئة تختلف عن بيئتهم ، و لهذا كان الأرشيف شحيحا في كل ما يعنى بقضايا التحرر و النضال لدى الجزائريين خلال فترة الحركة الوطنية، هذا النقص غطّته بعض الصحف السويسرية و التي كانت تتابع أخبار النشطاء الجزائريين مثل فرحات عباس و مصالي الحاج لكنه لم يرق لأن يكون اخبارا تحرك الرأي العام ، إلا أنه و رغم ذلك تبقى هذه الكتابات من المصادر التي يمكن أن نعتمد عليها في توثيق تاريخ الجزائر بعيدا عن ما حاولت فرنسا أن تفرضه علينا من أقلام و حقائق زائفة.

الهوامش

---

[1]- اكتسب قانون الأهالي شهرة بائسة لدى الجزائريين لما كان يجسده في نظرهم من ظلم وقهر وإذلال، و الغاية من إصداره هو تضيق الخناق على الجزائريين. ولم يتم إنهاء سريان مفعوله، بصفة نهائيه إلا في سنة 1944، فعند كل تمديد تضاف أو تشطب بعض المخالفات التي ينص عليها في اتجاه التشديد كما كان الحال عند تمديده في سنة 1897 أو التخفيف في سنة 1904 عندما تم استبدال عقوبة السجن بدفع غرامة مالية أو أيام العمل مجانا تساوي عدد أيام السجن المنصوص عليها في العقوبة، فمنذ صدوره حتى سنة 1914 تراوحت عدد المخالفات التي يعاقب عليها هذا القانون بين 17 إلى 33 مخالفة. فمثلا من بين العقوبات نذكر أنه يعاقب فتح مدرسة لتعليم القرآن أو التدريس بدون رخصة، كذلك الانتقال من مكان إلى مكان آخر يقع خارج دائرة الإقامة بدون رخصة ،إيواء عابر سبيل دون إخطار رئيس الدوار في الحين أو استقبال شخص غريب عن البلدة لا يحمل رخصة. الإقامة في منزل يقع خارج القرية بدون رخصة، التسبب في إحداث شغب بالسوق، مخاطبة عون إداري بلغة خشنة، التأخر في دفع الضرائب بدون مبرر مقبول، إعطاء معلومات غير صحيحة للإدارة عندما تطلبها. وغيرها من المخالفات المشابهة التي لا تقع تحت طائلة القانون.

[2]-كانت البدايات الأولى للصحافة في الجزائر مع دخول الاستعمار الفرنسي فلم تعرف الجزائر هذه الظاهرة الفكرية والثقافية رغم مرور حوالي قرنين على ظهورها في أوربا ، و نظرا لأهميتها في تلك المرحلة كوسيلة لإبلاغ انشغال الجزائريين ، قام بعض المثقفين منهم بإنشاء عددا من الصحف سُميت بصحافة الأهالي بدأت بالصدور عام 1893، مثل " جريدة الحق، المغرب، كوكب أفريقيا بالجزائر ، وجريدة النصيحة ، ذو الفقارو الفاروق " للمزيد حول هذا الموضوع أنظر : جمال قنان، مشاغل المجتمع الجزائري من خلال الصحف 1914/1882،مجلة المصادر ،العدد 9

[3]- - وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري CH-BAR E 2800(-)1967/60/ vol. 4 عنوان الوثيقة :سياسة الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة أهدافها ووسائلها -حياد سويسرا

[4]- إن فكرة دعم الاستقلال من طرف الشيوعيين لم يكن بنفس فكرة الاستقلال لدى الحركات الوطنية ، حيث أن الثورة في أبجديات الفكر الشيوعي لن تكون إلا في إطار طبقي تحت قيادة الوطن الأم عندهم ، لكن ثورة نوفمبر كانت عكس ذلك وهذا ما أدى بالشيوعيين في الجزائر إلى عدم تأييد الثورة التحريرية غداة اندلاعها ،و يؤكد هذا الكلام هو وقوف الحزب الشيوعي الفرنسي ضد رغبة الحركات الوطنية في المستعمرات الفرنسية بحجة أنها تحدث انقسام يضعف مسيرة النضال ضد النظام الاستغلالي ،للمزيد حول هذا الموضوع أنظر : محمد العربي الزبيري،الثورة الجزائرية في عامها الأول ، دار البعث ط1 1984 ،ص 163

[5]- وثائق الأرشيف الفيدرالي السويسري، CH-BAR E 2800(-)1967/59/ vol. 96

[6]-للاطلاع على سياسة الحياد الذي انتهجته سويرا يرجى الاطلاع على:
René Schwok, Politique extérieure de la Suisse: Après la guerre froide ,Lausanne 2012 ,p27-53

[7]-صدر أول عدد من جريدة la gazette de Lausanne بتاريخ 1فيفري 1798، لصاحبها Gabriel-Antoine Miéville، استمرت في الصدور في شكل يومية بين 1856و 1991، لتندمج مع جريدتي le Nouveau Quotidien و Journal de la Genève و تشكل جريدة le Temp ابتداء من سنة 1998

[8]- la Gazette de Lausanne N ", Le 06 et 07 Avr 1948 81/82

[9] أسست المنظمة الخاصة أو المنظمة السرية بعد مؤتمر حركة انتصار الحريات الديمقراطية بتاريخ 18 فيفري 1947 ، حيث كانت عبارة عن مشروع جيش ير من خلال طريقة عملها و أعضائها و بعض الأنشطة التي قامت بها مثل عملية بريد وهران سنة 1949 ، و العمل على توفيرها للسلاح و صنع المتفجرات ، ث اتسمت بالسرية التامة ، مرعليها 3 رؤساء :محمد بلوزداد، حسين آيت أحمد و احمد بن بلة ، يتم اكتشافها سنة 1950 و أُلقي القبض على رئيسها و حوالي 40 عضو من أصل 1200 عضو،وكانت هي النواة الفعلية للثورة التحريرية و جيش التحرير الوطني ، للمزيد حول المنظمة الخاصة أنظر: أحمد بن بلة:حديث معرفي شامل ،دار ألترناتيف 1958 و كذلك:

Yousfi M'hamed ,le Complot Algerien50-54,ENAL,Alger

[10] -la Gazette de Lausanne le 19 sep 1946

[11] - le Journal de Genève N 147 ,le 26 juil 1949

[12] -la Gazette de Lausanne le 03 nov 1937

[13] - la Gazette de Lausanne le 19 sep 1946

[14] -la Gazette de Lausanne le 08 mar 1948

[15]- أنظر شهادة أحمد بن بلة في محضر السماع الذي قدمه للشرطة الفرنسية بعد القاء القبض عليه بعد اكتشاف المنظمة الخاصة و اعترافه بعلاقة OS ب MTLD، الشهادة في كتاب : Benkhadda Benyoucef, les Origines du1novembre54,Ed Dahleb,Alger1989.

[16] - la Gazette de Lausanne le 27 avr 1952

[17] - la Gazette de Lausanne le 15 mai 1952

[18] - la Gazette de Lausanne le 19 mai 1952

[19] - la Gazette de Lausanne le 06 oct 1953

[20] - la Gazette de Lausanne le 12 oct 1954